عبد الله الطيب

نـــوار القطن


زورنا في
الفيس بوك
المرتضى
لكتب السودانية
www.facebook.com/sh143a

عبد الله الطيب

نوار القطن

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآلـه وصحبه أجمعين .

وبعد فهذا جزء من قصة كنت كتبتها عام ١٩٤٧ وضمنتها مذكرات وأوصافا مختلفات . وقد عثرت على دفترها منذ حين ، بعضه قد سلم وبعضه قد رث . وعسى أن يكون فى النسخة التى أقدمها الآن بين يدى القارىء الكريم مايرضى عنه ان شاءالله وبه التوفيق

المؤلف ـ عبد الله الطيب
١٢/١٩٦٨

(١)

نهض عثمان ود عبد السلام عند الصبح قبيل الاشراق متثاقلا .
ونهضت زوجته أشد تثاقلا منه . وجافت عن ثديها طفلا سيىء الغذاء
ـ قد جاوز العامين بأشهر وحان أوان فصاله ، ولكن لم يكن لديهامن
الدراهم ما تشترى به عسلا وغير ذلك مما تفطم به النساء اولادهن فى
الاسابيع الاولى وتأوهت وتمطت وتثاءبت . ثم جذبت نطاقها الدسم
الذى كانت ترفد به وسادة طفلها ، وعقدته عند عظم خاصرتها ، ثم لفت
نفسها بثوبها الأزرق الذى قد شمله نثار من الرقع والخياطة بعد الخياطة
واخذت صفيحة بنزين فارغة على خارجها "عبس" من الوسخ القديم
. وجرت نفسها جراً تريد القناة ذات الماء الأسن الذى عليه من يرق
الناموس غطاء رفيق كالدهن فوق المرق البائت .

فاذا وصلت القناة بركت عند جانبها وأمالت طرف الصفيحة ثم
جعلت تملأها ، حتى اذا امتلأت وضعتها على الوقاية التى فوق
رأسها ، ثم ذهبت تكاد ساقاها تصكان حتى تبلغ منزلها الذى
انما هو كوخ ، فتجد طفلها قد أسهل على خرق المهد .

أما زوجها فقد ذهب ليحلب العنز . عنزا وحيدة كان قد شراها
عاما أول بعد أن باع بقرته وعجلها ليسد بعض ما عليه من الديون
وليدفع أجرة العمال الذين كانوا يعزقون حواشته بثمنهما . وقد
سمت زوجه هذه العنز « السعيدة » لكثرة مادرت عليهما من اللبن أما
الآن فلم يبق فيها الا أغبار اذ يبدو أنها قد لقحت منذ حين قريب !

وبينما كان عثمان يسرى ضرع عناقه السعيدة ، كانت زوجته تميط الأذى عن طفلها • ثم احتملت انعنقريب لى ظل الضحا • وجلست الى جانبه على بنبر صغير وجعلت ترتجل موقدا للنار • أعدت أولا ثلاثا صغارا • ثم وضعت شيئا من التمام وقصاصات الورق • واخذت

بعد بعد ذلك تتلفت يمنة ويسرة عسى أن ترى عودا أو جِذ°لا من حطب تعين به نارها • فلما لم تجد شيئا نهضت كالكارهة ، وقصدت الى ناحية الكوخ ، ومدت يدها ، ثم اجتذبت قبضة من الثمام المكون لسقف بيتها ، فثار لذلك غبار كثيف تساقط بعضه فى عينها فجلعت تنفضه بطرف ثوبها الأزرق • وفى هذه اللحظة رجع عثمان من حلب العنز يحمل أناء فيه شيء مما حصل عليه •

ـ يامرة ، انت ماعندك فهم • دحين وقت بتوقدى فى سقف بيتك راجيانى اركب للخلا البعيد داك واجيب ليك حمار تبسا تانى فى شان تاكليه نار السجم والرماد دى • انت دايرانا نقيل فى الهجيره • والا نقع الشدر والعشر مثل انحلب !؟

ـ انت يادا ما تهرج ، اوقد لك نارك دى بيشحمى ولحمى ؟

ـ ماتمشى ليزريبة الحمير ، البعرهناك راقد •

ـ دايرنى اسوى لك الشاى بيزفر الحمير ؟ أكان بتشربه أهـا امرق براك وجيب لك أكان بعرة أكان بعرتين •

ـ سوى سواتك دى وتتوكل الله على رقاريق نصة نهار

ـ ماتمرق باكر والا بعد باكر مع ولاد عمران للخلا وتجيب لك حطب

ـ سمح • والله أكان جب ليك ألف حمار حطب وتبس تعرفى لك عرفة ماتخلى فيهن قشة واحدة •

ـ وقت تجى من الحواشة شوف لك كان عودين كان تلاته فى شان العواسة .

ـ والله علا كان اقلع لك من قطن الحواشة

ـ وليشنو ما تقلع الناس كلهم بيقلعوا . وأكان ماسووا كدى والله علا كان يوقدوا خلقن

ـ واكان شافنى المفتش والابصص على البصاص .

ـ الله يستر ياود الناس .

ـ كانت مثل هذه المحادثه تدور كل صباح بين عثمان وزوجته عدالروا اذ كانت مشكله الوقود أمرا عسيرا شاقا يواجهها مطلع كل شمس وزوالها وغروبها .

قد كانت هذه المنطقة من أرض النيل قبل أن تنشأ فيها زراعة القطن على هذا النطاق الجشع مليئة بالشجيرات وبالسنط والطلح والسدر . ولكن منذ تولتها الشركة وانتزعتها من أهلها فانها قد أزالت كل الشجر من أجل زراعة القطن فلم يبق من شيء يصلح للوقود سوى قصب القطن . وهذا تأمر الشركة باحراقه كل عام خشية أن تكون فيه حشرة مؤذية تفتك بالمحصول الجديد . لقد كانت عدالروا تقاسى العناء من آمر الوقود ولكنها ـ على كل حال ـ كانت أسعد من رفيقاتها اللانى يسكن حيث يمتد مشروع القطن الأميال لايرى المرء فيه غير القنوات بعد القنوات ، والأفدنة المحروثة تتخلل الأفدنة المزروعة ، وليس ثم من خلاء قريب ، كما ههنا ، يستطيع المزارعون أن يحتملوا منه الثمام أو يقتطعوا السلم . وليس من حلل نيلية على الضفة الشرقية يكثر فيها السنط والطلح والسيال ويسكن للمزارع أن

يركب حمارة اليها فيحتطب مايكفيه أسبوعا أو أسبوعين . أن عدّ الروا
سعيدة حقا على كسلها واعتمادهـا على ثمام السقف أذا قيست بأولئك
البائسـات فى قلب المشروع اللاتى لايجدن مايوقدنه غير بعر المعـزى
وبعر البقر ، وبخاصة بعر البقـر لضخامته ومتانته وطول بقاء ناره ،
وغير مايسرقنه بين حين وحين مـن قصب القطن ، وغير مايشرينه مرة
فى العام ان كان لديهن من الدارهم وقلما يتيسر ذلك ، من هـؤلاء الأعراب
الذين يأتون مـن أقصى الأرض ليجلبوا شر أنـواع الحطب الى
قرى المشروع .

بل ان عد الروا لورأت الطعام الذى تطبخه شـبيهاتها هناك على
نيران الروث المنتن لحمدت ربـها ولاعتدت عناءها وشقاءها رحمة من
كريم رحيم . ذلك بأنها كثيرا مـا تطبخ لزوجها الملوخيـة الخضراء
المجلوبة من سواقى الحلل المجاورة . وأحيانا تطبـخ البامية الخضراء
وتحصـل على البصـل الأخضر والفجل والبنضورة . ولكن نساء
قلب المشروع ليس بالقرب منهـن سواق تزرع فيها الخضراوات ولم
تخصص ادارة المشروع لرجالهـن جزءا من الأرض يزرعـون فيـه
ماشاءوا من بامية وبصـل وفجـل وملوخية . فهم يعتمدون دهرهم
على الويكة اليابسة المجلوبة مـن بعيد تسحقها نساؤهم وتجعلها لهم
أداما . نعم أن عدّ الروا قد يضطرها الفقر وغيـاب الدرهم الى اطعـام
زوجها الكسرة بالماء القراح بعض الأيام . ولكن نساء قلب المشروع
أيضا لا يسلمن من مثل هذا البؤس ويزيده عليهن أن العجائز والكهلات
منهن لايزلن يذكرن أيام ما قبـل المشروع ، حين كان النّحى لايخلو
من سمن ، والسِّعن لايفرغ مـن رائب ومخيض وحليب ، والقساسيب
ملاء بالذرة واللوبيـا والتمـر ، والخضرة على مـد البصر غب أول
مطرات الخريف ، والطلح والعشر والسمر والكتر واللعوت والاخريت

والسيال فى كل مكان .

فرغت عدالروا زوجة عثمانود عبد السلام من صنع الشاى وصبته فى البراد وأضافت عليه ربع رطل من السكر ثم خلطته فى براده بلبن السعيدة بعد أن كانت ملأت منه وهو أحمر كوبين صغيرين من الزجاج لها ولزوجها لأنهما اعتاد ان يبتدئا صباحهما بكوب من الشاى الأحمر قبل كل شىء اعتقادا منهما أن سيصيبهما الصداع ان لم يفعلا ذلك . ثم بعد أن فرغا من شرب الشاى جعلت له شيئا من لفائف الكسرة البائتة فى اناء ومزجتها بملح وشطة وقطعت عليها بصلة . فلما شرع يأكل مضت الى العنقريب ورمت بنفسها عليه حتى اطـ وتوسدت ذراعها ثم أنت تخاطب زوجها :

ــ أنا موروده

ــ آها بدينا من صباح الرحمن . يامره خافى ربك وما تتمارضى .

ــ لا والله مانى متمارضة . أناوالله موروده ورده شديدة . والشاى دا سويته ليك بيخراج الروح .

ــ انت حمارة نوم وقلبك فطير . قومى يامره على أشغالك وخلى التصنع والتنوع .

ــ انتو أكان الزول ماوقع يابس ميت ما بتصدقوا ؟ أنا باقول ليك حاسه بيحرارة الوردة تبهرج جواعضامى ليها لهبة .

ــ دا فتر ساكت .

قال ذلك ونهض وأخذ بعصاه واتجه الى ناحية حماره وهو نفسه يكاد يشعر بسخونة من الوردة ــ أى الحمى الملاريا . ولكنه لم يكن يريد أن يشكو الى امرأته فتكون شكواه تأييدا لدعواها فتهزأ وتسخر

منه . ثم هذا يوم عمل ولن يعذره المفتش المستر هرسن اذا غاب ، ولعله يأمر بجلده أو يفرض عليه غرامة فادحة . ومتى كانت الحمى عذر لمزارعى القطن . انهم أبداغادون ورائحون شيوخا وشبانا بطونهم منتفخة من ألم الطحال ، وسوقهم كالمساويك رقة ونحافة وكأن على أبشارهم زينا لصفرتها ونزيزها بالعرق الذى تبعنه الملاريا فى جلود المصابين بها ، ولايزال أحدهم حليف الحمى الغبية تختلف عليه بأصنافها حتى يزور القبور . ولعله أن يكون مع كل هذا يشكو من البلهارسيا والترخومة وغيرهامن الأمراض الخبائث دوات الأسماء الافرنجية التى لم يكن لهذه البلاد بها عهد قبل أن تحفر شركة القطن قنواتها ذوات الماء الراكد والديدان والبعوض . وماذا يهم الشركة أو الحكومة أن يمرض جميع المزارعين مادامت تقدر أن تجبرهم على العمل وأن تمدهم بالعمال المستوردين من شرق القارة وغربها . و ن كل مايهم شركة القطن أمر قنواتها وقطنها . وقد مات جميع السكان بحلة « الترعات » فلم تذر عليهم دمعة بل اعطت أراضيهم فى الحال لبعض المهاجرين مماوراء الحدود . وبحسب المسئولين أن هذا المكان فيه شفخانة صغيرة تحتوى على عدد من القوارير المملوءة بمحلول البوريك وشربة الملح يشرف عليها مساعدحكيم وتمرجى ويعينهما فى عملهما هذا حلاق صحة وبعض الطلبة بضم الطاء لمراقبة الأنافولين وهى ناموسة الملاريا التى ترك دائما على زاوية وبهذا يمكن تمييزها من ضروب البعوض الأخرى التى لاتنقل الملاريا .

وركب عثمان حماره وجعل طرف ثوبه المسواد من الودك والتراب والوسخ على رأسه ليقيه من لذع الشمس ولاسيما وهو الآن

يحس طرفا من صداع . وبينما هوراكب مر به عدد من آمثالـه على جحاشهم يتصايحون « عرد عرد » فحيوه ورد عليهم ثم قال :

ــ ما شين وين ؟

ــ ماشين السخرة . المستر هرسن رسـل النباه البارح وقال كل ال خلس العزقة التانية والمويـة يجى

ــ ان شاء الله عوافى

ــ الله يعافيك . عرد . عرد .

حسد عثمان ربه أنه لم يكـن من أصحاب السخرة لأنه لم يبـدأ بعد عزقته التانية ، ولأنه كان فى تلك الساعة يحس بحـرارة الوردة فى عظامة فلو قد كان من أصـحاب السخرة أذن ما كان دون جلده أو غرامته أو موته شيء آخر ذلك اليوم لأن عمل السخرة عنيف شديد وكثيرا ما يشرف عليه المستر هرسن بنفسه ويذيق المزارع الويلات أن لم يبذل أقصى ما يسـتطيعه وفوق ما قـد يستطيعه من جهد وان عثمان ليذكر جيدا كيف تباطأ ذات يوم وهـو يتلع أم صوفة من قعر الترعة مـع غيره ممن وقعت عليهم السخرة فبصر به المفتش فانتهره ثم ركله بحذائه وأمر بجلده فصعقوه عشرين سوطا نهض بعدها يبصر الدنيا صـفراء وحمراء وشهلاء .

وبعد نصف ساعة وصل عثمان الى حواشته فوجد أن القطن قـد علت شجيراته غير أنه قد كان بينها عشب كثير لابد من التخلص منه . ولقريبا ما كان قد عـزق الأرض وأنفق فى ذلك حرّ المال . ولكـن هكذا طبيعة هذه الأرض . لا تكاد تنتهى عزقة حتى تبدأ الأخرى ولا يجز عشب الانسا مكانه أطول منه . أخذ عثمان ينظر الى الحقل ويسب

العشب والشركة والقطن جميعا . ولكن لافائدة فى هذا النوع من التذمر . فربط حماره ووضع السرج على الأرض . ثم نزع قميصه وبقى بالسراول وثنى حزة السروال من اجل التشمير حتى ارتفع فوق ركبته . وتفل على يديه وأمسك بطوريته وشرع يعزق الأرض ... كان هذا أول ابتدائه للعزقة الثانية . ستكون بعدها عزقة ثالثة لعل وقتها يحين بعد ثلاثة أسابيع . وبعد ذلك الاستعداد للقيط القطن . الا أن عثمان ود عبد السلام كان يعلم اليقين أنه لن يستطيع الفراغ من هذه العزقة الثانيه أن لم يعنه أحد الا بعد شهر ، وذلك أمر لا يرضاه المفتش . والمفتش وأعيانه فى هذه الناحية من الدنيا هم وكلاء السلطان والحاكمون بأمرهم والمعذبون ان شاءوا وقلما يشاءون غير التعذيب .

وبينما هو منحن يعزق اذ مر بقرب الترس ثلاثة غلاظ سود حمر العيون مفلفو الشعور ، متسخو الأجسام ، ملابسهم فيها خروق يبدو من خلالها لون أجسادهم ، وبأيديهم أوان من القرع فوارغ معا وطوار متينة الأعواد براقة النصول ، وعلى رءوسهم وقايات صغيرة فوقها أقداح من القرع والخشب لعل فيها طعامهم ولهم صماح من طول عهدهم بالاغتسال والنظافة وتبصر على أرجلهم خطوطا غبشا من العرق الناشف ـ لأن العرق الكثير حين ينشف تكون له حدود من الملح والوسخ المتراكم وأقدامهم حافيه مشققه الأبطن من طول سيرهم بها يعتسفون الشوك فى الظلماء والرمضاء . أشبه شى بشقوق أقدامهم شقوق جروف النيل بعد انقشاع الفيضان .

اكان هؤلاء الثلاثة من المهاجرين الذين يقدمون كل عام من نواحى السودان الفرنسى وماراءها طلبا للرزق فى وادى النيل . وهم قوم قد

تعودوا على مقاساة الشظف والشدائد وبأساء العيش • والعامة بأم درمان تسميهم أولاد حداد كانهم يريدون بذلك نعت ضراوتهم وجساوتهم كأنهم قد ولدهم الحدادون بين الفحم والنار والمطرقة والحديد • والناس يظنون أن الحدادين فيهم خشونة – والى قريب من هذا المذهب ذهب جرير فى هجائه الفرزدق حين زعم أنه ليس لدارم ولكن قفيرة جدته حملت لجبير القين •••• فكأن تسمية ولاد حداد لاتخلو من لون فزع جنسى والله تعالى أعلم •

هذا وأولاد حداد يسافرون من بلادهم النائية سعيا على الاقدام حتى يصلوا حدود دارفور الغربية • وهناك لاتسألهم السلطات عن جوازات السفر أو نحو ذلك من الرسميات ، وانما يحلق رجال الصحة – فيما بلغنا – شعور رءوسهم وسوى ذلك ليقتلوا القمل الذى عليهم الذى لابد أن يكون مثقلا بجراثيم الحمى الراجعة وغيرها من الأدواء • وبعد أن يفرغ منهم رجال الصحة ان صح هذا الذى يزعمه الأمدرمانيون من حلاقتهم ، يندفعون فى صف طويل ، ماشين فى قطار طويل ، واحدا واحدا ، متبعين الطريق المؤدى الى الأبيض سعيا على أقدامهم ، لايركبون راحلة ولا يحاولون احدى هاته اللوارى التى لاتكاد تنقطع بين الفاشر وكردفان • وينامون اذا أدركهم الليل على ناحية الطريق • وأحيانا – وهذا كثيرا ما يحدث فى فصل الخريف حين يشمل العشب كل الأنحاء الا الشارع الذى تمر عليه العربات – يلقون بأنفسهم كالخشب على عرض الطريق ولا يأبهون أنهم بذلك يعتاقون طريق اللوارى وهو رملى مرهق فى الوقوف ولا يخلو بعض سواقى اللوارى بتلك الجهات أن يكون

سكران أو عجلان أو سيىء المزاج فيرى أشباحهم أمامه فيحسبها دكذاكا فيضغط على بوريه ليطمئن ويريح ضميره ، فاذا لم يسمعوه وكان نومهم عميقا اندفع غير مكترث فربما جرح أو قتل منهم غير قليل ، وأدرك صباح الغد سوء ما اجترمه من نيلته وبعل يعد الاعذار والحيل وقد لايجد ذلك جد عسير .

وقد يبلغ من جهل بنى حداد فيما بلغنى اذا أجنهم الليل بعد سير حثيث ، آن يجعلوا من قضبان السكة الحديد وسائد لهم ، يحسبون أنها آنما أعدت لذلك الغرض . وكثيرا ما يمر عليهم القطار وهم نائمون فيفرمهم فرما .

فاذا تجاوز هؤلاء المهاجرون البائسون سهول كردفان وأظلتهم جوانب النيل تدفقوا فى أرضه يطلبون العمل ، ومضى غير قليل منهم بقصد الشرق الى مشاريع كسلا وتوكر ، واندفعت طائفة منهم الى أم درمان والعاصمة لتشتغل بالعمل اليومى أو الليلى ، وتسرب مئات منهم الى الشمال حيث مشاريع الزيداب ونورى والكلد وهلم جرا .

ولما كان المفتشون يعلمون مالهؤلاء الحدادين من قدرة على العمل الشاق ، ولما كانوا هم لا يهمهم شىء ألا أن يجودوا محصول القطن بكل وسيلة غير مبالين بصالح الوطنيين ، فانهم أخذوا يحملون أصحاب الحواشات أمثال عثمان ودعبد السلام وغيره على تخديم أبناء حداد بأنفس الأجر . وكان بنو حداد يعلمون ما لهم من مكان فى قلوب المفتشين . فكانوا لذلك لا يتورعون عن ارهاق صاحب الحواشة بما شاءوا من الشروط .

مر هؤلاء الثلاثة الحداديون بقرب ترس عثمان ورمقوه بنظرات.

معتدة مزدرية لاتخلو من نزعة انتقامية ولم يحيوه ووقفوا دقائق

ـ ما بتقولوا سلام ليشنوا ياولاد الناس

ـ سلام ألى (على) ايه ؟ آوز (عاوز) مننا ايه ؟

ـ السلام سنة الاسلام ياولاد الناس .

ـ تيب (طيب) سلام أليكم (عليكم) . آوز ايه .

كان يتولى مخاطبة عثمان كل هذه الآونة طويل ضخم كأنه كان يترأس ثلاثة بنى حداد . وقد أدرك أن عثمان يريد ان يستعين بهم على عزق الأرض ولولا ذلك ما اكترث بان يسلم عليه كما فعل بعد الحاج . ثم جعل هذا الرئيس الحدادى يصوب بصره ويصعده فى عثمان ثم يتخازر ويتحاوص ويكر اللمحة بعد اللمحه الى الحواشة ثم قال بعد لأى :

ـ الأرد (الأرض) بتاءتك دابتال (بطاله) . قس كتير . نأب (تعب) كتير . اه اه . ما بنقدر نأزقو (نعزقها) .

ـ اسمعو ياولاد الناس . آنا واحد وما معاى مساعد علا

شريكين . وكل واحد منا مشغول بنصيبه وقسمته . وأنا نايبنى من الحواشه خمس فدن وان ساعدتونى على عزيقا باديكم أجرة سمحة ويكون الف كتر خيركم .

ـ نهنا ما نهبوس كلام كتير . آوز تدينا ايه

ـ ريال ونص

ـ أما كويس . نهنا مش همار ما يفهموس .

ـ ما تزعل يا حاج ، الله يطيب خاترك

وانما دعاه عثمان باسم الحاج مجاملة وتأدبا وتلطفا تشبيها له بهؤلاء الذين يأتون من أقاصى بلاد تكرور يؤمون بيت الله الحرام

ــ انت آوز سقل • نهنـا آوزفلوس •
طيب يا حاج ريالين الفدان •
ــ ريالين ، يانى اسرين قرس • أهأه •
وأخرج الحاج هذه الاهات المقصود بها لا لأ من داخل قصب صدره وأتبعها هزتين لرأسه وحاكاه فى ذلك صاحباه وأضافا على الأهتين « ننجو تنجو » ثم قال لعثمان !

ــ أهسن تأزقو هواسه وهـدك وتسوفو سقل مأ المفتش •
ــ اسمع ياود العـم •
ــ أنى مس ود أمـك
ــ يا الشيخ عبد الغادر الجيلانى

ــ انت ياود الناس لفظك زفر مائه •
ــ زفـر يأنى ايـه
ــ زفر مسيخ • أنا با فاوضك وباقول لك باديك ريالين
ــ أه • ننجو • اسرين قرس ما نفأس •
ــ طيب يا خوى ريالين ونص
ــ يانى كمساسرين • ننجو • قاس •

ــ ياود العـم ، ان كان ريالين ونص ما نفعت النافع شنو ••• سبع وعشرين قرش ونصيه ، ما عندى زيادة عليها ، أهاشن بتقول شاور رفاقتك الله يهديك •
ــ سورى الى ايس ما نفاس •

وبالرغم من نفيه هذا التفـت أخو بنى حداد ليشاور صـاحبيه وكانا كل هذا الوقت صامتين يراقبان الحوار بينه وبين عثمان • فراطنهما

وراطناه • وبينما هم فى رطانتهم جعل عثمان يهمهم لنفسه بصوت كالمسموع مكررا اللعنات على الشركه وعلى بنى حداد ، وهو بعد على ثقة أن هؤلاء الثلاثة المهاجرين لن يستطيعوا ان يفهموا حرفا واحدا

مما يهمهم به بالرغم من مشهم وآشهم وما اليها من ألفاظ اللهجة البندرية المتحذلقة التى بلا شك قد التقطوها التقاطا كالببغاوات فى الأبيض أو أم درمان أو ود مدنى أو غيرهن

ـ الغوا واتراطنوا لغو الطير • رجاى من الكريم تزقفكم زاقفة كذا البرق تزعبكم من قرعكن قرع الهوان وتزقف مفتش البلا معاكن

وتريحنا من النكد دا ومنكن ومن شركة الشيطان يا غنم ابليس

ـ قولى ايه

ـ الضفرة والداهيه الضكرة

ثم يرفع عثمان صوته متلطفا أو كالمتلطف :

ـ أها ياحجاج ، اتفقتوا على شنو ، الله يهديكن

ـ تلاتين قرش آهر كلام

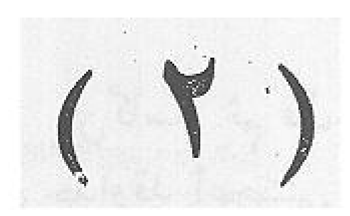
ـ سمح أدخلوا • ابدوا بسم الله وتوكلنا على الله • والله يقطع دابركم ويكسر خاتركم

فيدعون قرعهم الى جانب الترس وينزعون قمصانهم الأسمال ويدخلون لأذرعهم عضلات ، حاملين طواريهم على أكتافهم ليعزقوا الأرض •

وينظر عثمان اليهم ، ونصف عقله تفكير فيما سيدفعه لهم متى اتصرم النهار ، انه مهما يجهد نفسه فى العمل فلن يفرغ من نصف فدان قبيل الاصفرار ، هذا اذا لم تشتد عليه الملاريا وقد أخذت بوادر

رعدتها تسرى فى مابين ترقوته وفقارظهره • وقد كان يعلم فى نفسه ان الحـدادين سيستعينون باثنين أوثلاثةمن قبيلهم وسينتهون من الافدنه الخمسة قبل اكتهال الظهر • معنىذلك أنه عليه أن يعطيهم حينئذ اثنى عشر أو ثلاثة عشر ريالا • ومن أين يحصل على هذا المبلغ الجسيم وليست عنده الآن بقرة أو عجلـةفيبيعها ، الاعنزهالسعيدة ـ كلا ، لن يبيع السعيدة على أية حـال • نعم ، ان الشركة قـد صرفت لـه بالأمس جنيـها دينا تعينه به على العزقة الثانية وتخصمة بعد الحصاد من ثمن المحصول وتخصم معـهأرباحه • غير انه كان يجهل هـذه الناحية • وأنى له ـ وهو مسلم أمىمحرم عليه الربا آن يعرف معنـى الربح وحساب « المابة » وهذا الرباالذى ليس بأضعاف مضاعفة كالربا اليهودى الذى يقال ان الشيخ محمدعبده زعم أنه حلال فى الاسلام ، أعاذ الله الاسلام من شر تحليله • وقددفع عثمان من هذا الجنيه الواحد ثلاثة ريالات لسليم ود حمدنا اللهصاحب الدكان مقابل ما استجره منه من سكر وشاى وبن وتنباك وشعيريةكان أكرم بها ضيفا نزل به ، وقد بقى عليه أضعاف ما دفع ، وقد وعدسليما أن يسدد له الباقى من سلفية العزقة الثالثة • ولكنـه حتما لن يستطيع ذلك • ولاتخلص له من هذا المأزق الذى هو فيه الأن الا ان يمضى الى سليم مرة أخرى ويستلف منه ما يدفع به أجرة الحدادين ويعده انسيسدد الدين بعد جنى القطن أو عندما ينتج محصول الذرة ، انـهسيعطيه ثلاثة أرادب فى سعر سبعة ريالات ونصـف للأردب • ثـم سيضطر الى استجارهذه الأرادب مرة أخرى من سليم عندما يعز الذرة فى سعر نصف ريال للربع هكذا كانت حياته منذ أن بدأ العمل بالمشروع • ولاجديد تحت الشمس •

وأخرج الحقة من جيبه واستفمنها سفة وضعها بين شفته السفلى وأسنانه ثم أخذ الطورية وذهـبليشارك بنى حداد فى العزق •



قعد المستر جونسون على كرسيه الوتير وأمامه « طاولة » من المهوقنى عليها زجاجة مملوءة بالويسكى والسودا ، صفراء زيتية اللون ، وازاءه المستر هورسون على كرسى مشابه وأمامه طاولة من المهوقنى وكأس دهاق . وعلى بعد منها مصباح كهربائى على عمود قد حفت به آلاف من الحشرات الصغيرة ذوات الأجنحة . ومن الفراش ألوان وأنواع .

— كيف وجدت هؤلاء الناس ؟

وكن المستر هورسون اذ سأل هذا السؤال يشير الى حفلة الشاى التى أقامها لهما أحد الأعيان لما سمع بقدوم المستر جونسون المفتش الجديد . وقد كان المستر هورسون ، الباشمفتش ، قد رحب بالفكرة لما عرضت عليه ، لأنه كان يحس حرص المستر جونسون على رؤية الناس والتعرف بهم والاطلاع على أحوالهم ، وكان يظن ان هذه الحفلة ستتيح للمستر جونسون فرصة أن يرى من يحسن به أن يراهم . ليس من الحكمة ان يحط حاكم أوروبى ممتاز من قدر نفسة بمحاولة الاتصال بالشعب الأهالى . ان كان لابد من الاتصال بهؤلاء الأشقياء فمكان ذلك الحواشات والسخرة . لكن قد يجوز للحاكم الاوروبى الممتاز أن يتنازل ، ويزور زيارات رسمية ليس الا هؤلاء الأعيان الذين يشرفهم مثل هذا التنازل ولا يألون جهدا فى انفاق كل بيضاء وصفراء لاكرام الحاكم الذى يتفضل عليهم به ... اغتنموا مال السلطان وطعامه . وأى مال وأى طعام أنفع من اقباله حين يقبل !

وحسا جونسون حسوة من كأسه ثم قال :

ــ انهم قوم كرماء ومؤدبون جداوقد أعجبتنى ثيابهم البيض ونبل حركاتهم وخلو تعابيرهم ولحظاتهم من روح الحقد الذى ينتظره ويجده الرجل الأبيض فى افريقيا

ــ انى مسرور جدا لاعجابك بهم . انهم أفضل شخصيات هنا . أما البقية فكالحيوانات تماما .

ــ وهؤلاء ليسوا من عامة الأهالى؟

ــ أقول لك هؤلاء خيره الوطنيين الساكنين فى هذه الجهة . أما البقية فلا يحتملون .

ــ انى متشوق جدا الى رؤية هؤلاء الذين لا يحتملون .

ــ لا تعجل . انك ستراهم غدا عندما نقوم بالمرور .

ــ لكنى سأراهم حينئذ فى مظهر العمل ، وليس هذا كافيا . انك تعلم أنى قدمت لمسألة تعليم الكبار والاصلاح الاجتماعى .

ــ ان مظهر العمل هو أفضل مظهر تراه هنا . ان الوطنيين الأهالى كسالى وسخون . وسترى قذاراتهم مجسمة امامك فى الغد . ولا يمكن اصلاحهم قط لجهلهم وجمودهم . وقد كان الباشمفتش الذى سبقنى ، المستر مكارتى يقول انه لا طريقة لتعليم الوطنيين الأهالى الا بالسوط .

ــ طبعا هذه وسيلة عنيفة اظن ان الهولنديين كانوا يتبعونها فى جاوة وأن البلجيك والبرتغال يتبعونها فى مستعمراتهم ، لكنها ليست فى تقاليدنا

ــ حقا انها ليست من تقاليدنا

وحسا المستر هورسون حسوات من كأسه وتناول من وعاء السجائر سجارة وكذلك فعل جونسون

— لكن يا اريك أرى أن مستر مكارتى ليس مخطئا كل الخطأ فى نظرية السوط هذه . فهؤلاء الوطنيون الأهالى يفهمون باجسادهم أكثر مما يفهمون برءوسهم . وقد جربت الضرب معهم ولكن نفسى نفرت من أن آمر بجلد أحدهم عشرين جلدة أو نحو ذلك فانا الآن اكتفى بتغريمهم . وأحيانا أركل الكسلان منهم أو أضربه على كتفه ضربه واحدة بالسوط لأريه غضبى . انهم كالأطفال تماما . وليس فى الضرب القليل الذى يجىء بدون تكلف بين حين وآخر مضرة لهم .

— انى لم أكن أظن أنهم بهذه الدرجة من الغباوة . على كل حال لا أرى أن الضرب هو الوسيلة الصالحة .

ويضغط جونسون زرا أو يضرب نويقيسا صغيرا من النحاس فيحضر أحد خدمه حاملا زجاجتين مملوءتين ويسكى سودا

— انتظر قليلا يا اريك وستصل الى نفس النتيجة التى وصلتها أنا .

وتدور بينهما ضروب من الحديث حتى اذا حان وقت العشاء استأذن هورسون فى الخروج وقال جونسون :

— سأرسل أحد خيلى مع الخادم لك فى الصباح — ليلتك سعيدة .

— ليلتك سعيدة

وفى الصباح خرج جونسون وهورسون على حصانين هيكلين يتبعهما حسن وتوفيق خادما هورسون ، على فرسين أيضا ، واتجهوا كلهم نحو الحواشات حيث العزيق قائم على قدم وساق . ومنذ أن وجد جونسون نفسه مشرفا على كل شىء من فوق صهوة الحصان أخذ يخالجه شعور غريب . شعور السيادة والعظموت . انه هنا ليس بالرجل الهيوب المتواضع الذكى الذى اعتاد أن يدخل فى

الجدل فى حجرة اللاونج بمنزل اتحاد الطلبـة أحيانا .انه ههنا بمنزلـة الحاكم . هذا الحقل الواسع الذى يكاد يذعن لوقع حوافر فرسـه .

وهؤلاء السود الثياب والجلـود المستكينون . وهـذه الحمير الشعثاوات ذوات الدبر . أيستطيع المرء ههنا ان يجمع بين اشـتراكيته ومايتمتع به من نفوذ وسـلطان ؟أكان يجـوز له مـن الوجهـة المثاليه ان يستخدم هذا العدد من الخدم الذين أحضرهم له الباشمفتش

دع الأجرة فانها غير نقابية ؟ لعل مجرد قولنا نقابة للخدم المنزليين يشتمل على تناقض جوهرى . لكن ان يقدر المرء ههنا أن يباشر كل شيء بنفسه . استخدام الخدم ضرورة لا مفر منها . ثم هم سيكونون بلا عمل ان لم يستخدمهم هو على وجه التخصيص . انه لا شـك يؤدى بذلك خدمة للانسانية . ولـكنه قدقدم هذه البـلاد لأمر التعليـم

والاصلاح الاجتماعى المنظم على أسلوب تعليمى . وها هو ذا يجد نفسه يقوم بعمل المفتش الزراعى مع ان الشهادة الأكاديسية التى معه فى علوم الجغرافية من التدريس . لكن الرئيس الكبير الذى تلقيه عند وصوله أكد له أنه سيكتسب تجارب قيمة من التفتيش الزراعى . على كل حال سيقوم بواجبه أفضل قيام .

ومرا فى تلك الساعـة بقرب حواشه كان صاحبها فى ناحيه بعيدة من طريـق مرورهما . وكان قـد انطلـق حماران مـن وتديـن عند زواية من الحواشة فى طريقهما وجعلا يعبثان فى طرفها كما تصنـع الحمير التى يركبها الناس ويمنعونها من الرتوع فى الخضرة .

وأقبل صاحـب الحواشـة مهرولا يصيح بالحمير :

ـ عوك الرميد . عوك الخرابة .

وأسرعت الحمير هربا . الا ان المستر هورسون الباشمفتش قد كان لها بالمرصاد :

ـ تمسك الهمير وياخد واهدهمله (حمله) ألشان (علشان) رجال بتال بتاء (بتاع) همير يمسك قرامه .

ـ حاضر جنابك

ـ انت يكون نايم والا فين ؟

ـ كنت باعزق ياجناب المفتش

ـ موش آوز يكون واهد كسلان زيك توارد اندى (عندى) نهاردا قرامة واهد كمسين قرش

ـ حاضر جنابك

ـ يمشى واهد كسلان

نعم ان المزارع كان مهملا . ولعله ولعله قد كانت زجرة او زجرتان تكفيانه . هكذا فكر جونسون . أما الركل فلا . وعلى كل حال ان هذا الذى ركله الباشمفتش ـ ركلة غير شديدة بالطبع ـ منذ دقائق لا يختلف منظره كثيرا عن هذا الجحاش . وضرب المستر جونسون أحد الجحاش التى كانت فى طريقه ليمتحن نفسه . الاشتراكية والمسألة القومية . ان الأهالى المتأخرين ربما كان فى صالحهم ان يعطوا حقوقهم بالتدريج . كانا يسيران على حصانيهما ووراءهما الخادمان .

وبينما جونسون مغرق فى التفكير من فوق صهوة الحصان المشرفة على كل شيء مر أحد الخفراء على حماره النشيط . حمار كأنه الحصان . مثل النوع الذى يقال له (بونى أى برذون) وتركبه الفتيات فى مجرى الخيل الترابى الذى حول هايدبارك تقليدا للطبقا شبه الارستقراطية فى

الزمان السالف • وعندمـا حاذى الخفير المفتشين نزل من الحمار ورفع يده بالتحيه • فرفع المستر هورسون سوطه كالراد عليه • وهم الخفير أن يركب برذونه مرة أخرى بعـد انجاوز المفتشين بعـدة أمتار ولكن حسن الخادم صاح به !

ــ هدرة المفتش عاوز يتكلم وياك

ــ حاضر جنابك

ــ الهواشه دا بتاء مين ؟

ــ حواشه سلمان ود عمر جنابك

ــ الهواشه دا وسكان كالص

ــ جنابك سـلمان ياخد جـزا

ــ قيول أوامـر بتاءى يواردتنين جنيه قرامه •

وبينما المستر هورسون يهب أوامره للخفير ظهر سلمان ودعمر من جانب الحواشة فقد كان منحنيا يقلع بعض الأعشاب •

ــ انت تآلى هنـا

ــ حاضر جنابك

ــ انت كسلان وهواشه بتاءك وسـك

ــ والله عزقتها بى عزما شـديد جنابك

ــ انت واهد كسلان

ــ جنابك الشغالة مرقوا منها بس يوم أمس • ادخل جوا فيها جنابك فيشان تشوف بينظرك

ــ ميوش آزيـن نيشـوف •وسك هينا كفاية كللس •

ــ والله جنابك الحواشة نضيفه •أدخل جوا جنابك • وجناب المفتش

الجديد كان حب لدخل كمان وشوفوا بينظركن .

ويتقدم سلمان الى حصان المستر جونسون ويهم أن يمسك بلجامه ولكن المستر هورسون ينتهره باشارة من سوطه :

ــ انت ما يمسك هسان جناب مفتش جديد واكفهر وجه المستر هورسون وهو ينطق بهذه الكلمات

ــ انت واهد بتال . انت بمسات قرامه اثنين جنيه بيوارد انهار دو

ويفتح سلمان جزلانه ويخرج منه جنيهين

ــ حاضر جنابك مستعد

ــ القفير بيكره بيمل واهد واسل ألشان انت .

ــ حاضر جنابك . بس كان دخلت جوا وشفت الحواشة نضيفه جنابك متل المراية .

ــ ميوش نيهب كيلام كتيار تمشى يللا .

وينصرف سلمان مستخذيا بعد أن فدى نفسه بالغرامة وأنما استطاع ان يحصل على هذين الجنيهين وسبعه أخر ببيعه ما كان سرقه من محصول القطن فى السنة الماضية وما حصل عليه مما سرقه آخرون .

والتفت المستر هورسون الى الخفير

ــ انت بيمل واهد واسل ألشان اثنين جنيه وواسل تانى أشان كمسين قرش بتاء راجل بتاء همير آبدلقادا

ــ عبد القادر ود معروف جنابك

ــ أيوا هو همبيا فى هواشا بتاءو

ــ جنابك هو يستاهل واحد جنيه غرامه

ـــ لا كلاص أنا أقرمه كمسين باس • ونيقرم بتاء همير واهد جنيه
ـــ نعم جنابك أنا رايح أحضر الوصولات

لقد كان الباشمفتش المستر هورسون أوائل أيامه بالمشروع يحسب أن الضرب هو أجدى وسيلة لتأديب السود • ولكنه الآن بعد التجربه ، قد اكتشف ان الغرامة أفضل بكثير • لأن أكثر الناس هنا أجلاف اذا حكم على أحدهم بالضرب اعتد ذلك فرصة ذهبية لاظهار شجاعته وجلده • زد على هذا أن هذه الغرامات مفيدة • أنه يوردها لخزينة مخصوصة لها سماها خزينة الغرامات • بالطبع لم يكن له سلطة رسمية لتوقيع الغرامة على أحد • ولكن بحكم أنه من الشعب الحاكم كان هذا يجعله بمنزله قاض من الدرجة الثانية ـــ والخزينه المخصوصة كثيرا ما كان يلجأ اليها لما كان يسمية منافع عامة مثل زيادة المكافآت للخفراء والخدامين أحيانا • خادماه حسن وتوفيق كانا فى نظره موظفين عملهما شديد الصلة بالمصلحة العامة لأنه هو كان الممثل الأول للمصلحة العامة • ثم هما بحكم صلتهما المباشرة به لعلهما يكونان الشخصين الوحيدين المتمدنين فى هذه المنطقة • وجهاء البلد وأعيانها على أهميتهم متوحشون يمثلون مفهومات همجية • أما هذان فبالنسبة اليهم حيوان أليف • الخفراء يجيئون فى المرتبة التى بعدهما •

وهمز المستر هورسون حصانه فأسرع به شيئا وكذلك فعل المستر جونسون والخادمان على أثرهما • وبعد دقائق أدركوا الخفير . فلما حاذاه المفتشان نزل راسبا من على حماره • بخفة رافعا يده بالتحية ولكنهما قد تجاوزاه بنحو مائة من الامتار وسرعان ما وصلا الى

حواشة عثمان ود عبد السلام فوجداه يعزق ومعه خمسة من الحدادين .

وكانت هذه أول مرة استرعى فيها نظر المستر جونسون اختلاف ملامح الحدادين عن غيرهم من المزارعين . نظر اليهم وهم يعملون جادين . وقد وقف المزارع عثمان تأدبا واحتراما للمفتشين الأوربيين . انه أخضر ضارب الى الصفرة فى خده شلوخ سلم الشيخ الطيب وشعره قصير حديث عهد بزيانة وله شفة هدلاء وأنفه غير أفطح وهو الى النحافة والطول . ولعله يكون مريضا . هكذا رآه المستر جونسون المفتش الجديد . ولم يكن يرى من الآخرين وهم منحنون يعملون غير سواعدهم المفتولة جائية ذاهبة بالكندكات . وجباههم المنخرطة كجانب هرم وفوهات مناخرهم حين يرفعون رءوسهم تحتها شفاه ضخام وألوانهم بين الزرقة والسواد عليها بياض أغبش من العرق . نظر المستر جونسون اليهم والى عثمان فقرر فى نفسه ان هذا الرجل الضعيف الخاشع الواقف وقوف تملق ليحييه ويحيى المستر هورسون انما يستغل هؤلاء الآخرين ويسخرهم .

هكذا سمع من أحد الصحفيين قبل قدومه هذه البلاد .. الوضع الاجتماعى تابع للون . الأبيض جدا هو الأوربى الحاكم . والأبيض الذى يليه هو الأوربى البقال . والذى يكون فاتح اللون من أهالى الشرق الأدنى وما اليه من الشمال أو الوسط الافريقى يتعاطى الأعمال المكتبية والادارية تحت اشراف الأوربى وهؤلاء صنف متعاون جدا مع الرجل الأبيض فى مهمته الشاقة . والافريقى كلما اشتد سواده ابتعد عن الوضع الاجتماعى الرفيع وبعض هؤلاء منهم الطبقة غير المتمدنة من

الخدم المنزليين وعمال الصحة لأن دورات المياه حتى الآن غير موجودة في هذه الاقاليم المتأخرة .

اعتقد المفتش الجديد في نفسة انه قد وجد الآن ظاهرة اجتماعية قد يكون في امكانه معالجتها ان أعانه صديقه الباشمفتش . غير أنه يريد أولا أن يتأكد أن عثمان مختلف من ناحية عنصرية كما يدل مظهره عن هؤلاء الخمسة الآخرين الذين يعملون . انهم جميعا رجال سود . ولكن يبدو أنهم ليسوا من فصيلة أو شعب أو نوع واحد . والتفت المستر جونسون الى المستر هورسون يسأله بلغته :ـ

ـ هؤلاء الخمسة الذين يحفرون

ـ هؤلاء عمال يشتغلون باليومية .

ـ هل هم من أهل هذه المنطقة

ـ لا . هم من غرب افريقيا . وأهل هذا البلد يحتقرونهم .

ـ هذا بالضبط ما جئت لا بحث عنه هل يعطونهم أجورا حسنة ؟

ـ كلا . ان المزارعين لصوص . وان استطاعوا أن يمتصوا دماء هؤلاء العمال ما تورعوا عن ذلك غير أننا لانسمح لهم بذلك . نحن هنا يا أريك لحماية الرجل الضعيف

ـ يبدو لى ان هؤلاء العمال أصح أجساما من هذا المزارع

ـ نعم . اننا نتأكد أولا من أن المزارع سيعطيهم أجره حسنة وهم قوم بسطاء ينفقون الأجرة على الطعام وأحيانا يشربون البيرة الأهالى وهى غير سارة بالنسبة لنا ولكن مغذية بالنسبة لهم أما المزارع فهو يدخن السجائر الرخيص ويمضغ التبغ الأهالى ويهلك نفسه بتزوج عدد كبير من النساء ولهم عادات كثيرة متأخرة غير صحية

ـ يبدو لى انكم ياجون تؤدون هنا عملا انسانيا قيما للغاية • ان دعاية التقدميين وكل الكتب الاشتراكية التى قرأتها تصور الأوربيين وحدهم بصورة المستغلين لسكان أفريقية ولكن لاتذكر شيئا عن استغلال الافريقى لأخيه الافريقى

ـ ان كتب الاشتراكية ومقالات التقدميين المزعومين كلها مبنية على نظريات فارغة • انهم ليس لديهم أى شىء من ناحية التجارب والوجهة العملية •• انهم فى حاجة لأن يحضروا اهنا ليروا بأعينهم •••

ثم قطع المستر هورسون محادثته والتفت الى عثمان الذى كان واقفا بكل تأدب ينتظر أن يخاطبه جناب الباشمفتش

ـ انت واقف بيمل ايه

ـ أنا قايل جنابك داير تتكلم معاى

ـ انت اسمك مين

ـ اسمى عثمان ود عبد السلام جنابك

ـ انت أو سمان ميش كسلان انهار دى زى كيل ياوم • أنا آوز وساكه دا بتاء هواشا بتاءك يكون ما فيش ساعه اتنين بدابت نهار دا •

ـ نحن جنابك فى داب العمل هسع دى • وانت جنابك شايف

ويرفع الباشمفتش سوطه مشيرا الى الحدادين الذين كانوا ساعتئذ منهمكين فى العزيق وقد قطعوا شوطا بعيدا •

ـ يازاول انتا بتاء أزيق

ـ نأم هدرة باشمفتش

ـ راجل دا اوزمان بيتاكد مينو كام أجرا بتا فدان

ـ لاتين قرش هدرة باشمفتش

والتفت المستر هورسون الى عثمان منتهرا :

ـ انت راجل واهد هرامى • انت زى كيول مزارين بتاتى كلكم هراميا تلاتين قرش ميوش كفيا ألشان أولاد بتاء أزيق

فقال عثمان متضرعا محتجا الى جناب الباشمفتش

ـ لا كين جنابك ما بقدر أدفع أكتر من تلاته ريال • تلاته ريال كتيره خلاس يا جناب الباشمفتش وأنا مزارعى مسكين نايبنى فقط خمس فدادين من الحواشة • وجنابك ما صرف علا عشره ريال • جنيه واحد • واحد جنيه يا جنابك • وأجرة الشغالة ديل زايده على الاطنعشر ريال فى حساب الفدان تلاتين قرش • وما بقدر عليها ان زادت على التلاته ريال • ما بقدرقط يا جناب الباشمفش بالكلية

ـ انت راجل هرامى وبكسلان • ويشركه تمسك وهد جنية ألشانك مساعدة • بس • ميوش لازم ألشركه بيمسك ألشانك أجرا بتاء شقاله • انت تيدفأ لشقاله من سرفيه بتاء قتن ومن ألاوى بتاء هواشا • ميوش لأزم ألشان شركه تيدفأ ألشانك •

ـ حاضر جنابك

ـ انت يدفأ ميش تلتين • انت انت ييدفأ أربرين ألشان فيدن ألشان ولد بتاء رأزيق

نطق عثمان ود عبد السلام بهذا يرفع بصره الى المستر هورسون ويقول متضرعا :

ـ ان كان بقت على أربعين قرش، أربع ريال ، يا جناب الباشفتش أنا علا كان ما أخلى الحواشة دى وأفتش لى شغلة أخرى •

نطق عثمان ود عبد السلام بهذا التهديد بالرغم من نفسه وهو واثق أنه لن يجد شغلا آخر • نطق به متوكلا على الله

مهولا به عسى اذ يرعوى الباشمفتش الجبار عن غيه وغطرسته • وعندئذ تقدم أحد الخادمين حتى صار قريبا من المستر هورسون وقال كالناصح لسيده ولكن في لون من جراءة ما

ـ اسمأ ياجناب المستر هورسون، انت عاوز تكتل المزارء المسكين دى • تلاتين ارش كتير هالص • وازاانت يا جناب مستر هورسون آوز تسائد المزارئين بتوءك أهسن تئمل الأقره اشرين ارش •

فالتفت المستر هورسون الى حسن يخاطبه باللغة الافرنجية على أن حسنا لم يكن يفهم منها شيئا الا كلمة أو كلمتين

ـ يوثنك سو هسان ؟

ـ أيوه سنك سو •

ـ انت أندك بكت ياراجل بارأوسان • أنا بنسيبك مرا دى ألشان كاتر بتاء هسان واد بتاءى

ويزجر المفتش حصانه ليزور عشانا آخر ويذيقه البرحين ويصحبا ركبه • فاذا ساروا غير بعيد اشار عثمان ود عبد السلام الى حسن أن يتريث • فيتأخر شيئا عن صاحبه ثم يخاطب عثمان كالمنزعج من اشارته

ـ آوز ايه ياشيه • أهو هلصناك من المستر هورسون

ـ أنا يا أخوى بادور أشكرك على معروفك مايقدر على جزاك علا الله

ـ لا • دى مش هاقه • أصله الباشمفتش ده دين كلب • وواهد أليل أدب • دى لوأت أبل شويه ،قرم أبد الآدر وسلسان مر • ومش ءارف يئمل ايه بادى كدا •

ـ غرم عبد القادر وسلسان يا خساره

ـ انا لازم اروح بادى كدا • ماسلامه

ـ اصبر شويه يا حسن أفندى

وانما لقبه عثمان بلقب الآفندى لأنه يعلم أنه ذو نفوذ لدى الباشمفتش

ثم انحنى عثمان على قميصة المطروح على حافة الترس فى وهج الشمس لتدخل أشعة الها جرة فى ثناياه وتسيت الصؤاب والقمل المختبىء فيها • واستخرج جزلانه بخفة وفتحه وأخذ منه ريالا أبا عشرين • وكان حسن كل هذا الوقت فوق حصانه يتصنع الغفله وينظر الى الأفق البعيد • فما نبهه من تغافله هذا الا راحة عثمان على جانبه ثم تحشر فى جيب قميصه الذى كان دون السرج وفوق الركاب قطعة فضية كبيرة

ـ دى ايه دا

ـ ما تقول شى يا حسن أفندى • هدية مينه منى ليك تاخذ بيها قهوه ليك وولتوفيق أفندى وأنا لومانى عارفكن مشغولين كنت بسوى ليكن دعوة عيزومة فيشان انت يا حسن أفندى راجلا فيك مروه

ـ لا دا ما كانش فى لزوم أشانه ياشيه عصمان

ـ ما تقول شى يا خوى تب ، كترخيرك على معروفك وربنا يقدرنا على جزاك

ـ تيب ياشيه أصمان ما سلامه •

ـ الله يسلمك يا حسن أفندى

(٣)

ـ انت يمسك ألاوه كمســهواشرين قرش من الشــهر الجايى أنشان شقل كوايس بتاءك

ـ مع اشكر انجزيل جنابك ، كتر خيرك جدا جناب الباشمفتش ، القطن انا اشتغلت فيه لى خمسطشرسنه ما شــفت مفتشا متل جنــاب الباشمفتش يرحــم ليحق الغفراالمساكين

ـ انيت تيرف أبكر قونا بيمئل ابه ديلوكتى

ـ جنابك حسن ما كلمك

ـ هسن هو ايه اليعرفوا بهيرالبلد بتاكو البتال دى

ـ والله انت الطايــره بالهــواتعرفها يا حسن ،

ـ أنــا مــوش مقفــل بسرانــا راجــل نلزم الأشــغال بتاعى

ـ انت قفيا ، يركب هسار ويشى لهواشه بتاء أبكر قونا

ـ جنابك أنا با مشى بكرعى ومابركب معاك وكتر خيرك على اذنك ،

ـ هو قفير دا ولد كوايس هسان

ـ أيوه هدرة باشمفتش هــوكوايس ديلوكتى بس الناس بقوء البلد دا كله هراميه ،

ـ جنابك عاوز حواشــة أبكرقونــا ...

ـ جنابك اكن هو فى السوق

ـ بيئمل شنو فى سوك ،

ــ جنابك باقى فتح له دكان

ــ دكان . أبكر قونا فتا دكان

ــ أى جنابك . باقى شبع الأيام دى . وايديه

.... وايديه جنابك

ومد عبد القيوم الخفير يديه يشير بهما للمستر هورسون

ــ .... وايديه لانن زى واحدست وبقن ما يستحملن الشغل دحين سوى له شريكين تكارنه زيه .

والمفتش كل هذا الزمن يهز راسه ويسمع وينكت بسوطه الصغير فى عرف حصانه والحصان ماش خطوة خطوة .

ــ انتى يا عبد الأيوم تارفى اللهبطة تمام .

ــ فضلة خيرك يا اسطه حسن . جنابك أبكر قونا عاوز يخسر علينا التكارنة .

ــ آ آ

ــ جنابك لمان يشوفوا أبكر عمل تاجر وعمل له شركا تكارنه جنابك يطمعوا كلهن ويخلو العزيق وداخطرى علشان القطن وفيه خسارة كبيرة للحيكومه وللشركه

ــ آم

ــ جنابك العزيق ما بيقدروا عليه اولاد البلد . جنابك ابكر عمل عمل بطال . لازم تعملوا موعظه جنابك . أكان يتشال من الحواشه والا ينشال من البلد تب . أصله العمدة متحين عليه وأيضا الريس جنابك ناظر الخت .

ــ انت يقول رايس مويش مبسوت منو

ــ أيوه جنابك . أبكر ماهو قاعد فى الواطه . كمان هو بتاع أسحار

وعروق وفيه مضرة شديدة للناس جنابك .

ــ تيب كتر كيرك قفيا

ــ أها سعيده جناب الباشمفتش، مع السلامه

ــ ما سلامـــك

ــ سعيده يا اسطه حسن

ــ سعيده يا عبد الأيوم

ويسوق عبد القيوم حسارة مسافه ثم يركب ويلتفت الباشمفتش الى حسن داود

ــ نهنا نمشي سـوك بكرا يـاهسان

ــ تيب جناب باشمفتش . بس لازم ديلواكت نيشل سوفن هالس ألشان ميئاد بناء شاى وبأدين قاى راجل خباص دا فى البيت

ومضى المستر هورسون وحسن الى المنزل . وبعد قليل كان المستر هورسون والمستر جونسون كلاهما جالسين الى شاى العصر . وكان أصيلا ذهبى الشعاع ذهبى الظلال ، رقيق النسيم . وقد خضب الأفق بحناء الشفق والبصر يسرح فى أمواج القطن الموشاة بعسجد الشمس وقد اخذت ترمق الدنيا باحتضار المغيب

ــ لقد كانت تجربة جد سارة ولكن لازال فكرى مشغولا بهؤلاء العمال من غرب افريقيا .

ــ انهم قوم شديد والنشاط يعتمد عليهم فى العمل يا اريك . ليسوا كهؤلاء المحليين الكسالى

ــ ولكن لماذا لاتعطونهم حواشات كغيرهم من المزارعين

ــ آه . هنا ندخل فى السياسة . اننا لوأعطينا حواشة واحدة لهؤلاء

الغربيأفريقين لثارت ثائرة السكان هنا • ولرددت ثورتهم الجرائد ثم دوى صدى الضجه فى الراديو والمعادى لنا • لا يا أريك • ليس من الحكمة استخدامهم •

ـ ولكن الى متى تسمحون باستمرار هذا الاستغلال من جانب المزارع للعمال الزراعيين •

ـ عنصر الاستغلال ، واسمح لى أن أصحح تعليقك ، ضعيف جدا

وذهب وقت الشاى وجاء بعد الحمام والبنطلون الأبيض والحزام الأسود وقت الويسكى سودا

ـ لأننا بالطبع نقف الى جانب العمال الزراعين وننصفهم من المستأجرين • نعم يوجد نوع من الاستغلال الانسانى • فالمزارع ههنا يكره أن يدنس نفسه بالعمل اليدوى ويترك هذا عادة للعمال الزراعيين

وبالطبع يكون مكان العامل الزراعى اجتماعيا حقيرا من أجل ذلك فاذا تذكرت أنه عامل اجنبى وزنجى من غرب افريقيا فتستطيع ان تتصور ان المزارع الأهالى ههنا ينظر اليه نظرة ازدراء • كما يفعل البيض مع زنوج

أمريكا تماما • ولكن وجود نفوذنا ههنا قد فل الى حد ما درجة هذه النعرة العنصرية • أنا بالذات قد بذلت بعض المجهود فى محاربتها •

ـ من الغريب يا جون ان هؤلاء العمال الزنوج اللاعرب يبدون أصح وأمتن أجساما من المزارعين الأهالى هنا •

ـ صحيح • سبب هذا ما قلت لك ان المزارع الأهالى هنا فخور لا يعرف قيمة المال ويضيعه فى الأمور التافهة • واشتراء الثياب والسكر بدون داع وكميات كبيرة من الشاى والنساء طبعا • الا يعجبك يا أريك هذه الامسية • ان مثلها نادر فى هذا البلد الحار •

ولكن أريك جونسون لم يكن يريد ان يتحدث عن الأمسية كان كل فكرة مشغولا بأمر هؤلاء العمال الزراعيين الزنجيين • وقد كان قبل مقدمه هذه البلاد مشغولا باله بشأن الفوارق اللونية والعنصرية

وقد راعه ماحدثه به المسترهورسون من أن هؤلاء العمال الزراعيين يواجهون احتقارا عنصريا من المزارعين الأهالى الذين يشبهونهم جدا فى اللون والتأخر وان خالفوهم قليلا — قليلا فى الملامح

وقدم حسن داود خادم المسترهورسون وهمس الى سيده ان الرجل المدعو عبيد الديان ودبدران يريد مقابلته فى أمر هام • فامره المستر هورسون باستدعائه • ومن عادة المستر هورسون الايحجب عبيد الديان الا لمانع هام •

ودخل عبيد الديان بخطاذنب، كان يلبس جلابية نظيفة جدا ومكوية سيفا وفى جيبه ساعه يتألق سلسلها وبيده عصا خيزران وعلى رأسه طاقية من الحرير الأحمر بلا عمامة • وكأنه قد خرج من الحمام منذ دقائق وكان عبيد الديان هذا فوق السمرة أدنى الى بياض اللون • شعر رأسه كما يبدو من أطرافه التى لم تغطها الطاقية بين الأسود والذهبى • وعيناه احداهما عسلية وفى الأخرى حوص وبياض ولعلها عوراء لاترى وشفتاه حمراوان أدنى الى الغلظ وهو قصير دحداح يدعى النسبة الى الأتراك ولاريب أنه بعيد النسب جدا منهم ••• يعد ذلك ضربا من الفخر • وقد كان قدم من الريف صرماتيا يدبغ الجلود ويصنع المراكيب ثم ارتقى فصار يبيع ضروبا من المأكول والمبوس التنباك ود عبارى والعطور وأشياء غير ذلك ورحب المستر هورسون بعبيد الديان وأشار الى الكرسى فقعد عليه وكأنه قد استدعى الى جانب العرش

وانهلت عليه غيوث السعادة

ـ اندك كبر جديد ياشيك ديان

ـ ايوه جنابك • عندى خبـر صغير جنابك • مش مهم خالص

ـ هسان

ويلتفت المستر هورسون الى خادمه حسن داود

ـ يجيب واهد جنجبير الشـان شيك ابيد ديان

ويمسك عبيد الديان بطرف الكوب الشوب ويبلـع ريقـه ويغمض عينه التى هى حوصـاء وعوراء

ـ جنابك أبكر قونا عاوز يفتح دكان فى السوق •

ـ مين يا شيك

ـ أبكر قونا جنابك

ـ مويش أبكر واهد هداد بتاء رأزيق

ـ أيوه جنابك

ـ نيرف اينت الشان ايه ايهـو يمسك فتاه ديكان

ـ ما أعرفش جنابك • بس هو تزوج واحده من ه

ـ تيقول ايه

ـ با قول جنابك هو عامل واحد زواج

ـ زواج • هو يمسك واهـد أروس بت بلاد من هناء

ـ أيوه جنابـك •

ـ اينت آرف دا كله وميتاكـد من كبر بتاءك

ـ أيوه جنابك • أنا كنـت فى الحفلة بتاع الزواج بتاعه •

ـ اينت آرف أبكر يمسك واهد أروس أهالى وميوش اينت يجى

هينا ألشان كبر ؟

ـ أنا أهو جيت علشان أكلمك جناب الباشمفتش .

ـ انت راجل واهد بتال . انت كون يجى هنا يمسك واهد كبر مويش انهاردا . انت كون يجى أمس . انت واهد بتال . انت يلأ من هنا برا

وهكذا طرد الباشمفتش عبيدالديان « الخباص » عقابا له على توانيه فى تبليغ الخبر ولم يمهله حتى يشرب الجنجبيره . وأصم عن تضرع عبيد الديان واستخذائه وصاح به أن يخرج فخرج تكادحوصاؤه وشهلاؤه تدمعان

وهم المستر جونسون أن يسأل صاحبه عن جرم الشيخ عبيد الديان ود بدران ، هذا الزائر الذى كان المستر هورسون تقبله باكرام ثم قلب له ظهر المجن وأهانة اهانة الكلب مسكين الكلب يشتمه الناس وهو حنون ومطيع وعاطفى ومخلص الغاية . ان الانسان لظلوم كفار

ولكن المستر جونسون كان أحكم وصبر من أن يستعجل بالسؤال . ولماذا يسال وهذا المسترهورسون يوشك أن يتبرع له بشرح واف كاف شاف

ـ لقد حدث حادث مزعج . لقد قال لى هذا الرجل الذى يأتينى بالمعلومات ، المهبل الكسلان أن أبكر قونا أحد الغربيأفريقيين ، تزوج امرأة أهالى ويريد ان يفتح دكانا

ـ بالطبع هذا سيقلق الرأى العام فى هذه الناحية

قال جونسون ذلك يدارى أنفاسا فى جوفه من السخرية والسخط فقد كان ميله العاطفى الى جانب أبكر قونا وكان صدره

يحتدم غيظا على هذا الرأى العام المحلى الذى سيحاول بكل الوسائل أن يحطم أبكر قونا ومشروعه التجارى وزواجه أيضا • وكان يخشى كل الخشيه من وقوف المسترهورسون الى جانب هذا الرأى العام المحلى البغيض

ــ بالطبع هذا سيقلق الرأى العام • لابد من المبادرة بتلافى هذا الأمر قبل أن يستفحل •

ــ وكيف تلافيه • لقد تزوج الرجل وانتهى الأمر •

(كان حسن خبره بالتفاصيل • ان أحد الوجهاء طلق امرأته الجسيلة الطلقه الثالثة • وكان أبكر قد رضى بأن يحللها له • ولكن أبكر بقوة عروقه يمكن أن يستمر اذا شاء زوجا للمرأة • هذا كان مراد عبد القيوم الخفير عندما أشار للعروق • ولكن المستر هورسون لم يفهم هذه التفاصيل • لم يكن لها معنى عنده • فنى ــ من كلمة فن يعنى ضحك ــ حسن • فنى خفير • Funny

ــ أليس من الأحسن (تابع للكلام السابق) أن تحاول اقناع الكبار وذوى الرأى بهذا البلد الى الرضا بالأمر الواقع •

ــ لابالعكس • بل المهم أن نفهمهم خطورة هذا الأمر (بل المهم أن نفهم الأمر الواقع بخطورة وجهة نظر الباشمفتش)ونحفزهم على ابتكار طريقة لتلافيه • والا فان الرأى العام سيزعج جدا

ــ ولكن هذا تصرف غريب ياجون • اذا كانوا بالفعل مستاءين من هذا الزواج ، فواجبنا نحن ان نحمى هذا الرجل الضعيف ، ونحاول تهدئتهم لا أن نشجع غرورهم وضيق أفهامهم •

ــ لا أريك • انت لا تعرف هذا البلد • انهم بلداء جدا ولا يستطيعون

أن يقدروا خطورة الموقف . حسن !

ويحضر حسن الخادم كوبين من الويسكى سودا

ـ لا . أنا مويش آوز وسكى سودا . أنا آوز انت يمشى بالأربية دى دلوكت ويجيب شيك بتاء البلدونايب بتاء شيك

ولما هم حسن يأخذ أكواب الويسكى والسودا أشار عليه المستر هورسون بترك ذلك والاسراع فى مهته الجديدة . وعاد حسن بعد ساعة يصحبه شيخان عليها ثياب فضفاضة وقد تقلصت أسارير وجوههما لما كانا يدركانه من أهمية الامر الذى حمل الباشمفتش على ستدعائها من غير سابق تنبيه . وأشار عليهما الباشمفتش بالجلوس وأمر حسنا أن يقربها كوبين من الجنجبيرة . او توفيقا وانما كان توفيق ظلا لحسن . ولم يبدأ هذه المرة بتطويل التحية والسؤال عن أحوالهما وصحتهما كما كان يفعل عادة بل خلص الى الشأن الذى من أجله دعاهما مباشرة وبلا ريث

ـ اراجل ابكر قونا يسسك أروس هنا

ـ ايوه جنابك

ـ وكمان يسسك فتاه ديكان

ـ أيوه جنابك

ـ واينت يا شيك بتاء بلد تيئمل ايه

ـ جنابك أبكر بقى زول بلدوعاشر الناس

ـ أيوه . لكن هو واهد هداد .

ـ جنابك لكنه راجلا ما هو بطال

ـ انا با قول هو هداد . ومافيش هداد يسسك أروس من بتاء بلد

اهالى . لازم ارس بتاء يكون مافيش .

ــ جنابك علا كان تمنعه انت . علا هو اتزوج بالكتاب والسنه ونحن ما عندنا سلطة عليه .

ــ لا دا مويش كلام بتاء شيك بتاء بلد بتاء رى . انت ياشيك راجل مويش كويس .

ولم يستطع المفتش ان يحمل الشيخ ولا نائبه على الغاء زواج أبكر ولا طرده على كثرة ما ألح وما تفنن فى اقناعهما بأهمية ذلك وخطورته . وقد ضرب بهما الامثال وحاول ان يستثير حفائظهما العنصرية بتصغير شأن أبكر هذا الدخيل الوضيع وان يهول لهما اثر هذا الزواج وما سيجره على بلدهما من العار حتى ان القرى الاخرى ستتحدث عنه وان أهل هذه البلدة وشيخها وباشمفتشها والمفتش الجديد أيضا سيكونون حقا مضغة الافواه وحديث الرائح والغارى .

ــ أهو المقيم واهو المدلج السارى ــ

كما قال قيس بن رفاعة الذى واستشهد بشعره عبد الملك بن مروان ياحليل عبد الملك بن مروان . ولكن على تهيبهما للمفتش وتضاؤلهما أمامه لم يكونا ليجبرا على فسخ زواج ابكر قونا . أولا لأنه كان رجلا فاضلا حسن الصلة بهما وسائر الناس وثانيا لأن الفسخ له مبررات شرعيه لا يتيسر منها شىء فى موقف ابكر الا ان طلقها ابكر طواعية فيعود اليها زوجها قبله الشيخ محمد طه مرة أخرى . وثالثا أبكر صاحب عروق أسجار ويمكن يحصل لهمامنه مضرة ورابعا لأن للشيخ . ونائبه أعداء اقوياء يسغلون أمر تلاعبهما بالشرع ان أقدما على هذه الكبيره اشنع اسغلال وقد فكر الشيخ ونائبه والعرق بتصبب منهما اشد تفكير وأحده فى

هذا المأزق الذى زج بهما فيه جناب الباشمفتش المستر هورسون فلم يجدا من مخرج الا ان يتوكلا على الله ويعصيا امر المفتش على قوة سلطاته وعظمة وجبروته

ـ انتو مويش كويسين • أنا يمسك أبكر واهد جزا •

ولم يكن المستر جونسون فى حاجة الى أن يشرح لهزميله فحوى مادار بينه وبين الشيخين • لأنه كان يقرأ جوابهما فى عيونهما وتبرات أصواتهما وفى حمرة صاحبه المستر هورسون وتقبض جبهته وتلوى حنكه وهزة رأسه وحركه يده لقد كان الامر واضحا كل الوضوح • ليس فى الدنيا رأى عام محلى يهمه زواج أبكر قونا او دكانه غير هذا المستر هورسون وذلك الاحوص الأعور النكس الرعديد الذى بلغ الخبر بلواعية •

ـ هذان الرجلان بليدان جدا • لايفهمان عقلية الاهالى

ـ معذرة جون أظنك انت ياصديقى لا تفهم عقلية الاهالى • الا ترى أنهما رفضا باتا ان يتبعا أوامرك •

ـ اسمع يا اريك • لاتلمنى ان قلت لك انى احسب انك شيوعى

ـ شيوعى • يا للسماء • ماذا تقول يارجل

ـ أنا وأنت هنا نؤدى شيئا واحدا هو أن نتأكد ان محصول القطن سيكون جيدا وان تكاليفه ستكون قليلة وان الاهالى سيكونون مطمئنين وليس من صالحنا ولا من صالح القطن ان يندمج العمال

الزراعيون الزنجيون فى بقية الاهالى . اننا نحكم هذه البلاد الاهالى بالحكمة والسياسة . ومن الغلط المنكر السماح بتكوين وحدة ملتئمة من العمال المزراعيين والمزارعين المستأجرين لو ترك الامر لى انا لطردت جميع المزارعين واستغنيت عنهم باولاد حداد لانهم بسطاء لايريدون اكثر من الأكل والبيرة المحلية رلكن الارض كانت ملكا للمزارعين قبل أن نستولى عليها نحن فلذلك لانستطيع ان نطردهم منها . تقاليدنا عادلة . ونحن نحافظ عليها .

ــ وماذا تنوى بهذا ــ ما اسمه

ــ أبكر قونا

ــ سأعلمه درسا قاسيا وسأعلم هذه البلدة درسا قاسيا .

(٤)

ينزل الباشمفتش من الحصان ويمشى لدكان أبكر قونا ويتبعه جماعة من الناس • ويجرى أحد ناس السوق فينادى العمدة والشيخ والريس وجماعة من الأعيان •

ــ جناب مفتش أنا اندى هواشه فى شركة • انى ما نمسكو أولاد أزيق

ــ يانى قفير كداب • وامده بتاء بلد كداب • وشيك ابيد ديان كداب

ــ هاشا جناب مفتش ما هو كداب •

ــ هو كلو يقوله انت يمسك ولد بتاءر زيق ويشل تاجر بتاءر أرق بتال •

ــ جنابك أنى ما نارفو ارق • انى نبيئوا سكر وشاى انشو هواشه كل يوم نندفو بايدى •

ــ مويش بايدك • قفيا يقول ايدك لاين زى ايد بتاء واهد سيت

ــ جنابك قفير قليل أدب • أنى ندربو قفير لو يقول قدامى زى ايد واهد ست

ــ ما ترافع جناب المفتش • خل عندك أدب يا بكر •

تبرع بهذا التوبيخ أحد أعيان السوق ووجهائه وكانوا آنئذ قد تجمعوا حوالى الباشفتش وقد كان العمدة والريس ومن اليهم قد وصلوا وتبرع تاجر وجيه فقال .

ــ جناب المفتش الجماعه الفلاته دول ما عندهم أدب

ــ جناب باشمفتش انا ما نــدور ناس يقولول أنا قليل أدب . جنابك تورينى القلت كان انا سويت جنابك أكون انا بتال . كان انا ما سويت جناب باشمفتش يكون بتال ال يقول انا بتال .

ــ انت يا حاج أبكر بلش اللحاح وما تكتر الكلام . خل عندك أدب مع جناب الباشمفتش (كان هــذا المتكلم هو العمدة نفسه)

ــ انت يازول ما يكتر كيلام .

ــ اسكت يا ابكر . اسكت خل عندك ادب (كان المتكلم الأن هــو الرئيس الناظر)

كل الناس ــ اسكت يا ابكر خــل عندك أدب

ــ هسبنا الله ونئم الوكيــل . ابكر ما قال هاجه . بس زلم تقولوا لا اسكتى .

ــ كفى يا ابكر

ــ انت تطلع من السوق يا ابكر، فــاهم .

ــ هو واهيد بتال كتيا . مويش يبئمل أوامر بتاءرى .

ـ ياخد جزا جنابك ويطلع من السوق .

وفى هذه الساعة يصل عبدالقيوم الخفير وينزل من حماره بالتحيه

ـ جنابك أبكر دا سايط البلد دحين أخير جنابك تمرقه من لحواشه .

ـ أيوه أهسن يتلأ من الهواشه جناب باشمفتش .

ـ ونحنا بنمرقه من السوق جنابك .

ـ الشان ايه جناب باشمفتش . بلد مش بتاء عمدة ولا بتاء ريس ولا بتاء خفير ولا بتاء خدام باشمفتش بلد بتاء هكومة . وانى اندى كنترات شركه وما عملتو بتال . أنى ماتلأ .

ـ انت تتلا من هواشا ومن سوك كمان زى كلام ريس وأمدء . قفير بقول انيت ميوش كوايس فى هواشه . أو مدا يقول اينت مويش كوايس فى سوق . هسان يقول انيت مويش كوايس فى بلاد . ابيد يقول انت اندك واهد أروس بارق بتال . ريس يقول انت يتلا برا . وانا أقول كدا كوايس .

ـ جنابك انى نقدموا أردهال لجناب مفتش مركز . بلد مش بتاء ريس ولا وبتاء مفتش زراءة . بلد بتاء هكومة .

ـ اسمع ياابكر . البلد موهولك ولوهول أبوك . البلد هول الباشمفتش دا وهولنا بعده . انتوه تكارنه غرباء يالا . عزل من السوق

ومن البلد زى أوامر جناب باشمفتش وتانى أشوفك فى السوق علا السجن .

ــ البلد ما بتاعك ولا بتاع باشمفتش زراعه . أنى ماتتلا . نقدمو أردهال لمفتش مركز .

ــ أمانة ما تطلع يا كلب، وشيك يلعن قفاك .

ويغضب المفتش من الضجة ويضجر بها ويترك أبكر قونا مع العمدة والريس وقد انقضى امره

ــ ما فيش مره ويشيل بداه بتاءرك فوق راسك ديلواكت

وهكذا كانت نهاية أبكر قونا الذى لم يجد من ناصر الاعاطفيات المستر جونسون الاشتراكية .

ويمضى المستر هورسون الباشمفتش ووراءه جماعة من الناس على شكل مثلث رأسه الوجهاء وقاعدته من دونهم فمن دونهم وهكذا وهلم جرا . وهو ماش أى المستر هورسون ويحرك سوطه الصغير قاصدا حصانه .

ويناديه أحد التجار بأدب شديد

ــ جناب الباشمفتش ممكن جنابك تتفضل وتشرب عندنا قهوه جبنة .

ــ لا شكرا . انا مويش يشرب قهوة قبال فتور مرة تانى . .

ومد تاجر وجيه لسانه فلعق به ماحول شفتيه شماتة بالتاجر الذى دعا الباشمفتش الى القهوة فلم يستجب له . ثم نحنح وزرق بصاقه طويلا كما تفعل الحية ثم قال :

ـ انتو عاجبو لكن الجماعة ديل أكلن وشرابن بالمواعيد .

والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما .

مطبعة النيل
للطبع والنشر
١٩٦٨

الثمن ١٥ قرش